**جامعة تكريت**

**كلية الآداب**

**قسم اللغة العربية**

**محاضرات / علم اللغة**

**المرحلة / الثالثة**

**مدرس المادة / أ.د. عزت ابراهيم حماش**

**رابعاً : نظرية التنفيس عن النفس :**

تتلخص هذه النظرية في أن مرحلة الألفاظ قد سبقتها مرحلة الأصوات الساذجة الانبعاثية التلقائية التي صدرت عن الإنسان ، للتعبير عن ألمه أو سروره أو رضاه أو نفوره وما إلى ذلك من أحاسيس مختلفة فهذه الأصوات الساذجة قد تطورت بمرور الزمن حتى صارت ألفاظاً .

وقد امتازت هذه النظرية عن سابقتها بأنها تعزو نشأة اللغة الإنسانية إلى أمر ذاتي ، أي أنها تعتد بالشعور الوجداني الإنساني ، وبالحاجة إلى التعبير عما يجيش بصدر الإنسان من أحاسيس و انفعالات .

أما النظرية السابقة فترجع نشأة اللغة الإنسانية إلى ملاحظة خارجية موضوعية أي ملاحظة مظاهر الطبيعة و محاكاتها في ابتكار الأسماء الدالة عليها .

ولذلك كانت هذه النظرية خطوة أخرى في اتجاه آخر نحو البحث عن حل للمشكلة ، فهي تشرح لنا منشأ بعض الكلمات التي تعجز النظرية السابقة عن شرح منشئها . ومع كل هذا فانها نظرية ناقصة غامضة .

أما نقصها فلأنها لا تبين منشأ الكلمات الكثيرة التي لا يمكن ردها إلى أصوات انفعالية .

و أما غموضها فلأنها لا تشرح لنا السر في أن تلك الأصوات الساذجة الانفعالية ، تحولت إلى ألفاظ أو أصوات مقطعية .

فلهذين السببين انصرف عنها اللغويون ، و سخر منها ( مكس موللر ) .

**خامساً : نظرية الاستعداد الفطري :**

وهي النظرية التي جاء بها اللغوي الألماني ( مكس موللر ) و دعاها نظرية ( دنج دونج ) ، وخلاصة هذه النظرية أن الإنسان مزود بفطرته بالقدرة على صوغ الألفاظ الكاملة كما أنه مطبوع على الرغبة في التعبير عن أغراضه بأية وسيلة من الوسائل ، غير أن القدرة على النطق بألفاظ لا تظهر آثارها إلا عند الحاجة أو في الوقت المناسب .

وحينما سمى ( مكس موللر ) نظريته هذه ( دنج دونج ) إنما كان يريد أن يشبه هذه القوة الفطرية بلولب الساعة الملتف في باطنها ، و يشبه حوادث الزمن ببندول الساعة الذي يتحرك فيخرج بتحركه القوة الكامنة في الساعة التي ينطوي عليها اللولب ، فالزمن و مقتضيات الأحوال هي التي تخرج هذه القدرة من حيز القوة إلى حيز الفعل . وكأن النفس البشرية مخزن ممتليء بالألفاظ ، ينفتح شيئاً فشيئاً بمفتاح الزمن و مقتضيات الحياة الواقعية .

و مما دعا ( مكس موللر ) إلى وضع هذه النظرية ملاحظة الأطفال في حياتهم اليومية الحرة التي تدل على أنهم تواقون إلى وضع أسماء للاشياء التي يرونها ولا يعرفون لها أسماء ، و أنهم يبتكرون أسماء لم يسمعوها من قبل إرضاء لرغبتهم الفطرية في التكلم و التعبير عن أغراضهم . فاستنبط من ملاحظته أن الإنسان مزود بتلك القوة التي تنشأ عنها الألفاظ .

وهذه النظرية لاتحل المشكلة فهناك أسئلة توجه إلى صاحبها وهي : كيف ومتى زود الإنسان بهذه الذخيرة اللغوية ؟ وكيف انطوت نفسه على تلك الألفاظ الكاملة ؟ و إذا كان قد زود بفطرته بهذه الألفاظ ، فلِمَ اختلفت اللغات و تعددت اللهجات ؟ فإننا نكاد نجزم بأن آثار القوى الفطرية لابد أن تكون متحدة إلى حدّ ما ، ثم كيف تسنى للإنسان أن يخرج تلك الألفاظ من مكانها ، ويطلقها على المسميات المختلفة .

من هنا يمكن القول إن هذه النظرية تنقل الباحث من مشكلة إلى مشكلات أخرى أعمق منها و أشد غموضاً و لبساً .

وربما كان من أبرز عيوبها أنها تفترض ظهور الكلمة أو الكلمات الأولى لدى الإنسان كاملة غير خاضعة لسنة التطور .

**سادساً : نظرية الملاحظة :**

صاحبها هو العالم الألماني ( جَيْجر ) وقد برهن على أن أقدم ما أمكنه الوصول إليه من الأصوات اللغوية الأولى يعبر عن أعمال أو إشارات إنسانية .

ومن هذه الحقيقة استنبط أن تلك الأعمال و الإشارات كانت لا محالة هي التي لفتت نظر الإنسان الأول و أثارت عنايته و أنها كانت أول ما عرف الإنسان عن أخيه الإنسان ، و لذا تمكنت من نفسه و حلت منها مكاناً فإن مشاهدة الإنسان لغيره و هو ملتبس بعمل من الأعمال المهمة أو متأثر بحالة انفعالية قاسية أثارت أقصى عنايته و جعلته يتأثر به تأثيراً آلياً بطريقة المحاكاة العكسية فتظهر على وجهه علامات التأثر نفسها البادية على وجه زميله وقد حمله هذا الانتباه إلى العمل و ملاحظته أخاه وهو يعمل على أن تصدر منه إشارات تلقائية أو صوت ساذج معبر عن هذه الملاحظة . و على مر الأيام و بتكرار التجارب المتشابهة تطورت الأصوات إلى كلمات و استغنى عن الإشارات كلها أو بعضها على الأقل .

وقد أقبل ( جيجر ) على كثير من الكلمات المستعملة في اللغات الأوربية و ارجعها إلى أصول ( اغريقية ) تدل على عمل من أعمال الإنسان . مثال ذلك : الأصل الأغريقي الذي معناه : الكشط أو السلخ ، اشتقت منه كلمات معانيها : الجلد و الخشب والشجر ، و يمكن توضيح العلاقة بين هذه الفروع و أصلها . فالجلد هو ما يسلخ ، و الخشب شجر كشط لحاؤه ، و الشجر ما يكشط ليؤخذ منه الخشب .

ومما يؤيد هذا المذهب أن جميع أسماء الالات مشتقة من كلمات تدل على أعمال إنسانية . و في الحقيقة أن العربية فيها أمثلة كثيرة كالمنشار و المفتاح و المقراض والمقص ، كلها مشتقة من أصول يدل كل واحد منها على عمل من أعمال الإنسان .

ومع أن وضع هذه النظرية يعد خطوة أخرى في سبيل حل مشكلة نشأة اللغة الإنسانية فإنها لم تستطع أن تو ضح لنا بأسلوب مفهوم معقول كيف وُضِعت تلك الأصول العامة الأولى التي يقول صاحب النظرية إنها تتعلق بأعمال الإنسان أو إشاراته والتي يعدها الكلمات الأولى التي اشتُقت منها غيرها من الكلمات ، على أنه من المتعذر إرجاع جميع الكلمات التي تتكون منها اللغات كلها إلى تلك الأصول العامة .

**سابعاً : نظرية التطور اللغوي :**

تأثر واضعو هذه النظرية بنظرية التطور العام التي جاء بها ( دارون ) ، انطلق أصحاب هذه النظرية من زعمهم بأن لغة الإنسان الأول سلكت مراحل فطرية متعددة تشبه مراحل نموه العقلي وهذه المراحل هي :

1ــ مرحلة الأصوات الساذجة الانبعاثية التي صدرت عن الإنسان في الأشهر الأولى ، حين كانت أعضاء النطق لديه غير ناضجة ، و ميوله و رغباته غير محددة .

و إن نظير هذه المرحلة في الطفل حين تصدر عنه في أول عهده بالنطق بعض الأصوات المبهمة لا يفهم منها في كثير من الأحيان رغبة و لا غرض معين .

2 ــ مرحلة الأصوات المكيفة المنبئة عن الأغراض والرغبات المصحوبة بالإشارات المتنوعة التي تساعد الأصوات مساعدة فطرية في الإبانة عن الأغراض . وقد ساعد على هذا التطور في الأصوات و تكيفها نمو أعضاء النطق من جهة و نمو الإحساس والشعور الذاتي لدى الإنسان من جهة أخرى .

والأصوات المكيفة هي المتنوعة ؛ لاختلافها في الشدة و الرخاوة و الجهر والهمس . و غير ذلك . و تناظر هذه المرحلة في نمو الطفل اللغوي ، تلك المرحلة التي يصل إليها في أواخر السنة الأولى من حياته ، و ذلك حين تصدر عنه أصوات مكيفة مصحوبة بإشارات منبئة عن أغراضه .

3 ــ مرحلة المقاطع : وفيها انتقلت لغة الإنسان من أصوات غير محددة المعالم إلى أصوات محددة في صورة مقاطع قصيرة مستنبطة من أصوات الأشياء أو الظواهر الطبيعية أو على الأقل متأثرة بها إلى حد بعيد .

ويبدأ الطفل مرحلة تناظر هذه المرحلة في الشهور الأولى من السنة الثانية ، و ذلك حين ينطق بمقاطع متكررة يطلب بها ما يريد أو يدل بها على أشياء معينة ، متأثراً في ذلك بما يسمعه مما حوله من الحيوانات أو ممن يرى في محيطه من الناس ، و لايزال يكرر هذه المقاطع حتى تنطبع في نفسه ، وتتكون منها لغته البدائية .

4 ــ مرحلة الكلمات المكونة من المقاطع : وفي هذه المرحلة تتكون من المقاطع الكلمات أو الأصول العامة التي استعملها الإنسان الأول لقضاء حاجاته ، والتعبير عن أغراضه و رغباته . ومن هذه الأصول الأولى اشتق الإنسان كثيراً من الفروع و بالتأليف بين هذه الفروع وتلك الأصول اكتمل تكوين اللغة الفطرية . وقد وصل الإنسان إلى هذه المرحلة حين اكتمل عقله ، ونضجت أعضاؤه الصوتية ، و اتسع نطاق حياته الاجتماعية و كثرت رغباته و اشتدت حاجته إلى التفاهم مع غيره . ويوازي هذه المرحلة عند الطفل تلك المرحلة التي يستطيع فيها التكلم كما يتكلم غيره ممن يحيطون به ، و يتألف معجمه اللغوي من الكلمات الشائعة في بيئته ، و اللازمة للتعبير عن أغراضه .

5 ــ مرحلة الوضع والاصطلاح : وهي آخر مرحلة من مراحل النمو اللغوي وهي و إن لم تكن مرحلة فطرية فإنها تقوم على أساس فطري ، و ذلك هو حاجة الإنسان الملحة إلى الاحتكاك ببيئته و مسايرة اللغة التي يستعملها لتفكيره و عقله و مشاهداته التي يتسع نطاقها على مر الأيام و كثرة التجارب و تشعب نواحي الحياة .

وفي هذه المرحلة و ضعت المصطلحات العلمية و ابتكرت الأسماء الدالة على المسميات المستحدثة و لاتزال اللغة تنمو بإطراد و لايزال عدد مفرداتها يزداد كلما أوغل الإنسان في التحضر و ازداد نموه الفكري ازدياداً لا يظهر أنه سيقف عند حد . ويوازي هذه المرحلة ذهاب الطفل إلى المدرسة .

يمتاز مذهب التطور اللغوي بعدة أمور :

الأول : أنه يخضع نشأة اللغة و تطورها إلى سنّة التطور العام شأنها في ذلك شأن الكائن الحي .

الثاني : أنه يشرح لنا السر في نمو اللغة من حيث متنها و أساليبها ، ويعزو ذلك إلى سلوك الإنسان مسلك التقدم و الرقي في جميع مقومات حياته .

الثالث : أنه لا يمنع أن يكون هناك أكثر من عامل واحد في نشأة اللغة و تطورها .